

الاخوان المسلمون

لئن كانت الجماعة الليبرالية المصرية اختارت اطار «الجامعة الوطنية» حتى نهاية الثلاثينات، ثم أدركت اطار «الجامعة العربية» فيما بعد، فإن جماعة الاخوان المسلمين، حين تكوّنت العام ١٩٢٨، قد ذهبت مذهباً مختلفاً بخصوص «الجامعة السياسية» التي يندرج في اطارها المصريون. ومع ذلك، لم يكن الاخوان ليرفضوا «الجامعة الوطنية»، أو يستنكروا «الجامعة العربية»، بعكس ما أشيع عنهم. فقد عدد مؤسس جماعة الاخوان ومرشدها العام، الشيخ حسن البنا، صنوف معاني «الوطنية» وأرشد الى ان «الاسلام» معها: «ان كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الارض والفتها والحنين اليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مرمكون في فقر النفوس، من جهة، مأمور به في الاسلام، من جهة أخرى... وان كانوا يريدون ان من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس ابنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً، وقد شدد الاسلام في ذلك... وان كانوا يريدون بالوطنية تقوية الروابط بين افراد القطر الواحد وارشادهم الى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضاً، ويراها الاسلام فريضة لازمة... وان كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الارض، فقد فرض ذلك الاسلام ووجه الفاتحين الى أفضل استعمار وابرك فتح»^(٥١).

أما وجه الاختلاف بين الإخوان ودعاة الوطنية، فهو «اننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الارضية والحدود الجغرافية، هذه واحدة... والثانية ان الوطنيين فقط، جل ما يقصدون اليه، تخلص بالادهم؛ فاذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك، اهتموا بالنواحي المادية كما تفعل اوروبا الآن؛ أما نحن، فنعتقد بأن المسلم في عنقه امانة، عليه ان يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل ادائها، تلك هي هداية البشر بنور الاسلام»^(٥٢).

ويعنى آخر، فان البنا قد قبل مفهوم «الوطنية» كتعبير عن «الجماعة المترابطة» لا «الجماعة العرقية أو الجغرافية»؛ فالاخوان المسلمون لا يقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ولا شيئاً من هذه الالقب والاسماء التي يتنازع بها الناس^(٥٣).

وعن «الجامعة العربية»، ذكر البنا ان «الاسلام نشأ عربياً ووصل الى الامم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الامم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء في الاثر: اذا ذل العرب ذل الاسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي وانتقل الامر من ايديهم الى غيرهم من الاعاجم والديلم ومن اليهم؛ فالعرب هم عصبية الاسلام وحرّاسه». أما الوحدة العربية، فهي «أمر لا بد منه لاعادة مجد الاسلام وإقامة دولته واعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم ان يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها. وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية»^(٥٤).

كتب طه حسين، مرة، «ان الامة العربية غزت مصر واذاقتها صنوف العدوان»؛ فرد عليه الشيخ البنا متحدثاً عما يربط مصر بالعرب من علاقات الدم واللغة والدين والعادات والثقافة، ثم قال: «أما خطأ الفكرة - فكرة طه حسين - من ناحية القومية المصرية، فان تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي... ان من يحاول سلب قطر عربي من الجسم العام للامة العربية يعين الخصوم الغاصبين على كسر شوكة وطنه واضعاف قوة بلاده...»^(٥٥).